سلسلة روائع ينابيع القصصية

قريــة الأشـــرار

تأليف

محمد فتحى صبرى

رسوم

أحمد شوقي

إخراج فني

هاني رمضان

١٥ ش الطوبجي - خلف مرور الجيزة - بين السرايات - الدقي
تليفون وفاكس : ٧٤٩٣٦٨٥(٢٠٢)   محمول : ٠١٠/٥٠١٤٥٧٣
E.mail: ynabeea45@hotmail.com
رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٣٤١٠

منذ عشرات السنين، وفي مدينة من المدن، كان «مراد» الطالب بالمدرسة الإعدادية يعيش مع والديه حياة هادئة وادعة .. وكان والده الذي يعمل معلماً في إحدى المدارس الابتدائية معروفاً بين أهالي الحي بهدوئه وتقواه.

وكانت والدته امرأة وادعة تحب الناس جميعاً ويحبونها. وكان لمراد أصدقاء كثيرون لا يفترق عنهم يوماً واحداً، فإذا انتهى اليوم الدراسي، وفرغ من واجباته المدرسية، يسارع إلى الشارع ليلتقي مع أولاد الحي جميعاً للعب الكرة.

... وفي يوم، عاد «مراد» من المدرسة، وهو في لهفة على تناول طعام الغذاء، ليسارع إلى لعب مباراة مع أصدقائه ضد فريق الشارع المجاور لشارعهم، فإذا به يشاهد والديه جالسين، وقد بدا عليهما حزن شديد، فسألهما في لهفة:

- ماذا . ماذا حدث؟

فسكتت أمه قليلاً، ثم قالت في حزن:

- إن والدك انتدب للعمل بمدرسة قرية الصيادين.

فاعترى «مراد» خوف ورعب شديدين، فطالما سمع من جيرانه وأقاربه الذين زارا قرية الصيادين هذه قصصاً مرعبة عن الحياة في هذه القرية، وراح أصدقاء ومعارف

والده جميعهم يزورونه لينصحونه بالعدول عن السفر إلى هذه القرية خوفاً على حياته، ولكنه أخبرهم في يأس، بأن هذا أمر من إدارة المنطقة التعليمية، لا يستطيع أن يرفضه، وإلا فصلوه من وظيفته.

فامتثل الجميع للأمر الواقع .. حتى حان ميعاد الإجازة الدراسية، وبدأت الرحلة الشاقة والخطيرة، فذهب أصدقاء الأسرة جميعاً لتوديعهم ... كانوا جميعاً يحذرون «مراد» ووالديه من الأشرار الموجودين بهذه القرية

، وراحوا يشيعون بأنظارهم العربة التي تجرها الجياد لتقلهم .. حتى غابت عن أنظار الجميع.

.. وراحت العربة تقطع الطريق الطويل. كان الطريق وعراً، ويمر على عشرات القرى الأخرى، وكان سائق العربة يقف بهم بين حين وآخر عند قرية من القرى للاستراحة، أو لتناول الطعام .. حتى عبروا آخر قرية في طريقهم، وانتهوا بعدها إلى طريق جبلي يفضي إلى الطريق الساحلي ... إلى أن وصلوا أخيراً إلى قرية الصيادين.

.. ولكن كان الليل قد أرخى سدوله على القرية، فلم يستطع أن يشاهد سوى أشباح عشش الصيادين.

وفجأة، تراءى لهم شبح رجل قادم من بعيد .. كان الرجل ضخماً، يرتدي جلباباً، وقد توشح وجهه ورأسه بعباءة

كبيرة، ويحمل في يده أحد الفوانيس.

فلما اقتربوا منه، سأل الرجل والده وهو يحدق فيه في ضوء الفانوس الخافت:

- سيادة المدرس الجديد؟

فقال والده وهو يحاول أن يتحقق من الرجل:

- نعم. ومن أنت؟

- الحمد لله على السلامة، أنا «هنداوي» فراش المدرسة والمكلف من حضرة الناظر بخدمتك.

ابتلع الجميع أنفاسهم، فقد شعروا أخيراً بشيء من الأمان، وسأل الأب «هنداوي»، بعدما راح يعاون السائق في حمل حقائب السفر:

- وهل المدرسة بعيدة من هنا يا هنداوي؟

فأجاب «هنداوي» وهو يعالج فتح باب المنزل ليدخلوا:

- على بعد نصف ميل فقط يا سعادة البك.

فما أن دخلوا من باب المنزل، ووجد «مراد» سريراً بإحدى الغرف، حتى ألقى نفسه بملابسه على السرير، واستسلم لنوم عميق، فقد كان الطريق متعباً وشاقاً.



ولم يستيقظ إلا في منتصف اليوم التالي، على يد والدته التي راحت تربت عليه وهي تقول له في حنان:

- استيقظ يا مراد. لقد نمت حتى الظهيرة، أسرع. يوجد صاحب لك في انتظارك.

فانتفض «مراد»، وأزاح عنه الغطاء، وسأل والدته وهو غير مصدق:

- ماذا تقولين يا أمي، صاحب لي هنا ؟!

فأجابت والدته وهي تشير إلى خارج باب الغرفة:

- إنه حامد نجل «هنداوي» فراش المدرسة، أرسله والده ليكون في خدمتك، فهو يعرف كل شيء هنا.

فأسرع «مراد» ليتعرف على «حامد» .. كان «حامد» في مثل سنه، في حوالي الثالثة عشرة من عمره، ولذلك تعارف الولدان بسرعة، حتى أنهما ما كادا يحتسيان الشاي الذي قدمته لهما والده «مراد»، إذا بهما يغادران المكان على الفور، ليقوم «حامد» بتعريف «مراد» على معالم القرية، ونسى «مراد» في حضور «حامد» كل صوره المرعبة عن القرية، وتبدل خوفه إلى رغبة عارمة في الذهاب إلى صيد السمك، ولكن قال «حامد»:

- لا يمكننا الآن، فكل القوارب في أعماق البحر الآن،

فالصيادين يذهبون للصيد مبكراً

.فسأله «مراد» في ضيق:

- وماذا نفعل الآن؟

ففكر «حامد» لبعض الوقت، ثم سأل «مراد»:

هل لديك رغبة في لعب الكرة؟

فاندفع «مراد» غير مصدق:

- الكرة، إنها اللعبة التي لا نلعب في المدينة سواها.

فقال «حامد» في حماسة:

- هيا . هيا معي الآن بسرعة، فاليوم يلعب الأولاد جميعهم في الساحة بلا خوف، فسأعرفك عليهم.

فأسرع «مراد» وقد غمرته سعادة عميقة، فلم يشعر بالمسافة الطويلة، ولا حتى وعورة الطريق، ثم عبرا شعاباً بين جبلين، ثم دلفا منه إلى عدة أزقة، حتى وصلا إلى ساحة كبيرة .. كانت الساحة تعج بالأولاد الذين كانوا يلعبون الكرة، بينما كان حشداً كبيراً منهم يشاهد اللاعبين في حماسة.

فحيا «حامد» مجموعة الأولاد الذين كانوا واقفين يتابعون المباراة، فما أن شاهدوه حتى بادلوه التحية، ونظروا إلى

«مراد» متسائلين، فقام «حامد» ببتقديمه إليهم، فلما أخبرهم أن «مرادا» تلميذ في مدرسة بالمدينة، حتى أخذوا ينظرون إليه في تطلع شديد، وكأنهم يشاهدون مخلوقاً من كوكب آخر، وراح كل منهم يسأله مستفسراً عن المدينة ومنازلها المشيدة من الطوب.

فلما انتهت المباراة، وبدأ الأولاد الوقوف يتسلمون دورهم في اللعب، حتى سألهم «حامد»:

- ألا توجد فرصة لمراد ليشاركم اللعب، فإنه لاعب ماهر.

فتسابق كل منهم ليتنازل عن دوره ليتيح الفرصة لمراد .. ونزل «مراد» أرض الملعب .. كان الجميع ينظر إليه متطلعاً، فشعر بالحرج في بادئ الأمر، ولكنه سرعان ما نسى الحرج، وراح يظهر مهارة عالية أدهشت الجميع، وبدأ يسمع التصفيق بين حين وآخر على كل لعبة يؤديها بمهارة، فغمرته نشوة عارمة.

.. ولكن. وفجأة، وبينما كان «مراد» يستعد لتصويب الكرة ليسجل هدفاً، إذا به يشاهد حارس المرمى يجري من أمامه، ويجرى في عقبيه باقي اللاعبين، فراود «مراد» ذهول شديد، وتوقف، ونظر حوله فجأة، فوجد الجميع قد غادر الملعب سواه، ثم سمع «حامدا» يناديه من بعيد في لهفة:

- عليك بالفرار يا مراد إنه . إنه «صفوان الجبار».

فما كاد «مراد» ينظر إلى «حامد» متسائلاً، حتى فوجئ بعملاق هائل الحجم يدخل أرض الملعب، فلما اقترب من «مراد» الذي كان واقفاً ينظر إليه في ذهول. حتى فوجئ «مراد» بأن الذي أمامه ليس برجل، بل صبي في مثل عمرهم، ولكنه أطول قامة وأكبر حجماً من أي رجل شاهده.

... وتعالت صيحات الأولاد لتستحث «مراد» في لهفة وذعر:

- اترك الملعب. أجر يا «مراد» من أمامه.

ولكن تسمر «مراد» في مكانه من فرط الذهول، فقال الأولاد في ذهول وحيرة:

- ياه. إن «صفوان الجبار» سيقتله؟!

واقترب «صفوان» بجسده الهائل من «مراد»، وسأله بصوت جهوري:

- ألا تراني أيها الولد؟! فلماذا لم تترك الملعب مثل زملائك؟

يبدو أنك غريب. فهيا. هيا أترك الملعب فوراً.

فاستثارت لهجته ثائرة «مراد»، فقال بصوت نافد:

- وماذا أترك الملعب؟ أليس لي الحق في اللعب مثلك، فأرض الملعب من حق الجميع.



فاستشاط «صفوان» غضباً وصاح متوعداً «مراد» بصوته العالي:

- قلت لك ليس من حقك، بل أنا. أنا الذي أختار من أريده للعب.

ولما سمع الأولاد «صفوان» الجبار يصيح متوعداً جعل معظمهم ينادي:

- يا مراد . يا مراد اترك الملعب!

ولكن كان إحساس «مراد» الشديد بالظلم قد تغلب عليه، فصاح في عناد:

- بل لن أترك لك الملعب.

فاندفع «صفوان» نحوه ولطمه لطمة قوية ترنح «مراد» من قوتها، وشعر بجسده يتثاقل وأوشك أن يقع على الأرض، فتقدم منه «صفوان» مرة أخرى، ورفعه بين ذراعيه القويتين إلى أعلى، ثم هوى به على الأرض.

فاندفع «حامد» واندفعت في أعقابه مجموعة من الأولاد، وأسرعوا إلى «مراد» وحملوه بينهم قبل أن يجهز عليه «صفوان».

فما كاد «مراد» يسترد وعيه، حتى ألفى نفسه محاطاً بحشد كبير من الأولاد خارج أرض الملعب، فلما أجال النظر

حوله، وجد «صفوان» الجبار وسط أرض الملعب، ظاهراً بجسده الضخم وهو يلعب مع مجموعة أخرى من الأولاد، فتذكر ما فعله معه «صفوان»، فشعر بإهانة شديدة وحرج بين الأولاد، وألفى نفسه رغماً عنه يغادر المكان وسط دهشة الأولاد وصياحهم، وترك ساقيه للريح، ولم يترك لحامد الفرصة لكي يلحق به.

ووجد «مراد» نفسه يعبر عدة أزقه لم يطرقها مع «حامد» من قبل، فشعر أن الطريق قد تعثر أمامه، ولم يستطع أن يسأل أحداً، لأنه لا يعلم عنوان منزلهم، فجعل يمشي على غير هدى، وهو يشعر بالخوف والندم على تركه لحامد، وبعد مدة قادته قدماه إلى شعاب بين هضبتين، فتذكر أنه نفس المكان الذي عبره مع «حامد» وهما في طريقهما إلى الملعب، فشعر أخيراً بالأمان، وواصل سيره.

إلا أنه ما كاد يصل إلى نهاية الهضبة حتى سمع وقع خطوات أحد الخيول، وأعقبها صوت صهيل جواد من بعيد، ولم تمض فترة وجيزة حتى شاهد أحد الجياد يجري بسرعة وهو يتلفت حوله مترقباً أحداً يطارده.

وفجأة دوى في المكان صوت قوي، فكاد قلب «مراد» أن ينخلع من بين ضلوعه. فقد كان الصوت هو زئير أسد.

تسمر «مراد» في مكانه، ولدهشته وجد الأسد يعبر بسرعه

من جانبه، ولم يلتفت إليه، بل أسرع قاصداً الجواد المسكين.

وراح الأسد يشدد من سرعته، ليلحق بالجواد، فلم يستطع الجواد أن يواصل السير، فقد كان الطريق مسدوداً عند نهايته، فاضطر أن يلف حول المكان، ولكن أطلق الأسد زئيراً مخيفاً، فأوقع الرعب في قلب الجواد فاعترته حالة ارتباك شديدة، وانخفضت معها سرعته.

واستطاع «مراد» وهو في قمة الرعب والخوف أن يتسلق إحدى الصخور الضخمة ليختفي في ركن منها، وراح يتابع الموقف .. وكان الرعب والخوف قد تغلبا على الجواد المسكين، فبدأ يستسلم للأسد الجبار .. إلا أنه ما كاد الأسد يهجم على الجواد، حتى صدرت فجأة أصوات صهيل ووقع أقدام سريعة وغبار هائل، وانشق الغبار عن ظهور قطيع من الجياد، وفي لمح البصر غطى قطيع الجياد الكثير العدد المنطقة بأكملها، وأحاطوا بالجواد الذي كان واقفاً مستسلماً تماماً للأسد.

فتوقف الأسد فجأة، ونظر إلى قطيع الجياد الهائل العدد، وهو يحيط بالجواد. وفجأة لاذ بالفرار، ثم اختفى من أمام الجميع.

وكان «مراد» يتابع ما يدور حوله من فوق الصخرة، فشاهد

الجياد تعود وهي شبه منتصرة مزهوة بنفسها من وقفتها أمام الأسد الذي تخاذل وفر من أمامها، بينما كان الجواد يسير في وسطهم وهو يصهل صهيلاً عالياً ويهز ذيله في سعادة بنجاته. فالتقط «مراد» أنفاسه أخيراً، ولكنه ما أن شرع في النزول من فوق الصخرة، ومعاودة السير، حتى تسمر في مكانه فجأة .. فقد وجد نفسه وجهاً لوجه أمام الأسد!!

كاد الذهول والرعب يشلان «مراد» وهو يشاهد الأسد يقترب منه، وتوقف الأسد قليلاً، ثم راح يدور حول الصخرة التي كان يقف «مراد» بجانبها .. وفجأة انطلق دوى هائل، فقد فوجئ «مراد» بمجموعة من الرجال يرتدون ملابس غريبة تشبه ملابس الصيادين، ولكن كانت من الجلود، ويحملون بين أيديهم بنادق، وراحوا يطلقون منها بسرعة عدة طلقات على الأسد .فأصابته بعضها، فتوقف على قدميه الخلفيتين، ثم أطلق زئيراً مخيفاً، فتسمر الرجال في أماكنهم، ولكن استعاد أحدهم شجاعته، وأطلق طلقة من بندقيته أصابت رأس الأسد فخر صريعاً.

فتنفس «مراد» الصعداء أخيراً، ولم يصدق أنه قد نجا من موت محقق، إلا أنه ولدهشته، فوجئ بالرجال ينظرون نحو جثة الأسد المسجاة في حزن وحسرة، ثم قال أحدهم في ذهول:



- يا لها من كارثة! ماذا سيحدث لو عدنا إلى الريس لنخبره بقتل الأسد الذي اصطدناه، بعدما هرب من القفص!

فعلق آخر بعدما اقترب من جثة الأسد وتأكد من موته:

- لقد مات الأسد، فمن المؤكد أن الريس سيطردنا جميعاً بل قد يخصم من أموالنا الثمن الذي كان سيبيع هذا الأسد به لحديقة الحيوان.

فاتضح لمراد من ذلك أنهم مجموعة من صائدي الحيوانات هرب منهم الأسد، فاضطروا لقتله.

غادر «مراد» المكان أخيراً وهو لا يصددق أنه يسير على قدميه بعد كل ما حدث، واستطاع بعد جهد التعرف على منزل والده، فما كاد يصل إليه، حتى كان التعب والإجهاد قد جعلاه لا يستطيع تغيير ملابسه، فاستسلم لنوم عميق .. ولم يستيقظ إلا في صباح اليوم التالي على صوت «حامد»، فلما قام لتحيته، بادره «حامد» قائلاً:

- إنني آسف لما حدث يا «مراد»، ولكننا، لكننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً مع هذا الولد الجبار.

ولكن كان «مراد» قد نسى كل شيء عن الولد الجبار، فقد كانت المواقف المرعبة التي صادفته قد شغلت كل تفكيره، وراح يروي لحامد ما حدث.

فعلق «حامد» في ذهول، وكانا قد غادرا المنزل في طريقهما إلى المحطة التي تقف بها العربات للذهاب إلى الميناء:

- يا لها من أحداث!! والغريب أن تقع كلها في ساعتين فقط!!

وكان الصديقان قد واصلا سيرهما حتى وصلا إلى محطة العربات، ولكنهما اضطرا للانتظار قليلاً، حتى تمتلئ العربة بالركاب، فوجدها «مراد» فرصة لمشاهدة المارة من الصيادين ونسائهم وأولادهم وهم في حياتهم الطبيعية.

وكان معظمهم يسير في الطريق وهو يحمل ما اصطادوه من سمك، وكان البعض يحمل إناءاً كبيراً، وقد أخذ السمك يتراقص داخل الإناء.

وامتلأت العربة أخيراً بالركاب، فضرب الحوذي (سائق العربة) أحد الجياد بالسوط إيذاناً بالسير، فخفق قلب «مراد» من السعادة، فها هو قد نجا من موت محقق، وسيذهب الآن ولأول مرة للصيد في البحر، وراح يتابع من العربة المارة وعشش الصيادين الغريبة وهو في نشوة عارمة.

ولكن ما أن قطعت العربة مسافة قليلة، إذا بالحوذي يقف بالعربة فجأة خلف صف طويل من العربات .. ثم ينزل ويغادر العربة تاركاً الركاب، ليجلس على إحدى المقاهي،

ثم جاءه النادل حاملاً النارجيلة ومعها كوب من الشاي.

وراح السائق يحتسي الشاي ويدخن النارجيلة ويتبادل الحديث مع رواد المقاهي، وكأنما لا يوجد ركاب ينتظرونه في عربته.

فتساءل «مراد» وهو يتميز غيظاً:

- هل يمكن أن يحدث هذا ؟! يترك الركاب وسط الطريق ليحتسي الشاي ويدخن النارجيلة، غير عابئاً بأهمية وقت هؤلاء الناس ومصالحهم؟!

فردت عليه راكبة عجوز:

- إن كل قائدي العربات يفعلون ذلك كما تراهم. لا يعبأ أحد منهم بنا، فلطالما توسلنا إليهم.

أخذ «مراد» ينقل نظراته بين الركاب .. كانوا جميعاً في حالة ضيق، ولكن لم ينبس أحد منهم بكلمة، وكأنما وطنوا أنفسهم على هذا الأمر.

.. ومرت مدة طويلة، حتى قام سائق عربتهم بهدوء، وهو يتبادل النكات والقفشات مع زملائه غير عابئ، بزفرات الغضب والضيق التي كان الركاب يطلقونها ... إلى أن جلس أخيراً وأطلق السوط للجياد.

وما أن غادر «مراد» العربة حتى سأل «حامداً» في حيرة:

- ولماذا يسكت الناس هكذا ؟!

فأجاب «حامد» في يأس:

- وما العمل يا مراد ؟! فلو احتج أحد من الركاب، فيغضب الحوذي ويأمره بترك العربة.

... بيد أنه ما أن شرع «مراد» يفكر في هذا الأمر الغريب، إذا به يتوقف فجأة، فقد لاح أمام عينيه رصيف الميناء، وقد اصطفت بالقرب منه العشرات من قوارب الصيد، فلما اقترب منها «مراد» راودته سعادة بالغة، وفوجئ بحامد يقفز فجأة على أحد القوارب الصغيرة، ثم سار فوق لوح من الخشب يفضي إلى حافة قارب كبير، فتبعه مراد.

... وفي مدة وجيزة كان القارب الذي يقلهما في وسط البحر .. ولم يلبث الصيادون الذين يملأون القارب أن راحوا في غناء جماعياً حماسياً .. وبدأت تظهر لمراد الأسماك بأشكالها المختلفة وهي تتراقص داخل الشباك، وتحاول الكبيرة منها قطع الشباك في شراسة، فقام الصيادون بسحب الشباك، فتحمس «مراد» وراح يساعدهم في حمل الشباك الممتلئة بالأسماك، ثم جعل يشاركهم شيئا فشيئا في كل شيء .. حتى الغناء .. إلى أن عاد القارب إلى رصيف الميناء.

... واستهوت «مراد» حياة البحر، فجعل يستيقظ في كل

يوم مبكراً، ليذهب إلى البحر ليصطاد وكأنه واحداً من الصيادين تماماً .. واستمر في ذلك حتى مضى عليه شهر بأكمله .. إلا أنه ما أن عاد يوماً إلى منزله بعد تعب العمل، إذا بوالدته تسأله في حيرة، وهو يستبدل ملابس الصيد بملابس البيت:

- لقد مضى عليك شهر بأكمله في العمل يا بني. فهل تتقاضى يا ترى أجراً كبيراً على ذلك؟

ففوجئ «مراد» بسؤال والدته، وفكر أن يذهب إلى صاحب المركب ليسأله عن ذلك، وخاصة أن البحر هنا ملئ بالخير .. فمتى يرمي الصيادون بشباكهم، حتى تمتلئ على الفور بأنواع عديدة من الأسماك، فخطر له خاطر فجأة، فلقد لفت انتباهه منذ مدة أمراً يدعو إلى الدهشة .. فجميع الصيادين يعيشون في حالة فقر مزرية، فلا يوجد في بيت أحد من الذين زارهم سوى أثاث رخيص قديم، ويرتدون ملابس رثة بالية ويتناولون وجبات فقيرة لا تعدو قطعة من الجبن مع الخبز الجاف، مع أنهم يصطادون أسماك كثيرة .. فمن المؤكد أنهم تقاضون عنها مبالغ كبيرة من الريس «عجمان» الذي يمتلك مراكب ضخمة يبيع فيها السمك خارج القرية!!

فتساءل في حيرة .. هل هم بخلاء يدخرون كل ما يكسبونه ولا ينفقون منه شيء؟!

إلا أنه ما أن شاهد «حامداً» وسأله عن ذلك، إذا به يفاجأ بوجه «حامد» يتغير تماماً، واكتسى بحزن شديد.

وصمت حامد قليلاً، ثم سأل «مرادا» وهو يجيل النظر حوله في هلع:

- وهل سألت أحداً هذا السؤال قبلي؟

فأجاب «مراد» في ذهول:

- لا. ولماذا؟

ففوجئ بحامد يقول في هلع:

- الحمد لله. إنك لم تسأل أحداً في ذلك. فلو وصل هذا السؤال إلى الريس «عجمان»، فإنما يعني ذلك قتلك على الفور!!

أصيب «مراد» بذهول لما حدث، فسأل حامداً، وهو لا يصدق:

- ولكن. لماذا يقتلني الريس «عجمان» لو سمع بذلك؟

فأجال «حامد» البصر حوله، وبعد أن اطمئن بأن أحداً لا يسمعه، أجاب:

- إن الريس «عجمان» هو الوحيد الذي يشتري السمك من الصيادين لبيعه للخارج، وهو يشتري منهم السمك بثمن

منخفض جداً قد لا يزيد عن ربع القيمة التي يبيعه بها.

فسأله «مراد» في دهشة:

- ولكن لماذا يقبل الصيادون هذا الوضع؟

فاقترب «حامد» منه وأجاب بصوت أقرب للهمس:

- لأنه لا يمتلك أحد من هؤلاء الصيادين المراكب الكبيرة والمجهزة بالثلج ليبيعه خارج القرية، ولذلك يضطرون لبيعه إلى الريس «عجمان» الذي يمتلك المراكب الضخمة والمجهزة، كما يعمل لديه الرجال الذين يحملون هذا الإنتاج الضخم، وعندما اعترض بعض الصيادين على ذلك، كان نصيبهم النفي خارج القرية.

فشعر «مراد» بحزن شديد على أهالي القرية هؤلاء المظلومين، وظل طوال اليوم التالي قابعاً في منزله لا يبرحه، ولا يفكر إلا في شيء واحد ... الظلم!!

فعجمان يسرق أهل القرية ويشاركه في ذلك أشرار كثيرين مثل برهان جزار القرية الوحيد، الذي يستغل ظروف الأهالي ولا يبيع لهم إلا اللحوم الرديئة وبأعلى الأسعار .. ويشاركهم أيضاً السائقون الذين يعطلون الناس في الطريق ليحتسون الشاي ويدخنون النارجيلة على المقاهي.

.. وجلس يفكر في أمر هؤلاء الطغاة .. حتى بدأت الشمس في الغروب، فشعر أن اليوم قد صار طويلاً وثقيلاً، فلا يوجد أحد ليتحدث معه .. حتى «حامد» تركه وراح يساعد والده في أعمال المدرسة .. وحتى العمل بالصيد في البحر شعر بكراهية شديدة تجاهه، لأنه يكره الظلم، وود لو يذهب إلى الساحة ليلعب الكرة، ولكن ماذا يفعل مع هذا العملاق «صفوان» والذي يستغل قوته في ظلم الأولاد جميعًا، ويحرمهم من حقهم في اللعب ... فشعر بغصة شديدة في قلبه وندم على كرامته التي أهانها هذا الجبار أمام الأولاد، واضطرته للهروب، وجعل يتذكر كيف ترك «صفوان» وهو في حالة حزن، وتعثر الطريق أمامه، وكيف واجه الأسد الذي كان يطارد الجواد القوي، وكيف فر الأسد من أمام قطيع الجياد .. وفجأة .. خطر له خاطر غريب، فصاح مهللاً بصوت عال «الأسد». أليس هو أقوى الحيوانات، لقد . لقد هرب من قطيع الجياد لأن عددهم كان كبيراً لا يستطيع أن يصارعه بمفرده. فلماذا. لماذا لا يقف الأولاد جميعاً أمام «صفوان»؟ .. فصفوان قوي . ضخم يستطيع أن يتغلب على ولدين أو حتى خمس أولاد. ولكنه لا يستطيع أن يتغلب على أكثر من ثلاثين ولد معًا !!

.. فاعترته حماسة هائلة .. فقد شعر أنه وجد الحل أخيراً لمشاكل الأولاد جميعًا، فأسرع وأخذ يتحسس طريقه في الظلام الدامس إلى منزل «حامد» ليعرض عليه الفكرة ..

أن «صفوان الجبار» يستطيع أن يقهر كل فرد على حدة، ولكنه لا يستطيع أن يقهر جميع الأولاد معاً .. فما دام الأولاد جميعاً يؤمنون بحق كل فرد في اللعب، فعليهم أن يتكاتفوا جميعاً ضد «صفوان» ويدافعون بذلك عن حقوقهم.

فما أن استمع «حامد» إلى الفكرة، حتى انتفض واقفاً في حماس، وأسرع وصحب معه «مراد» إلى الساحة، ونادى على زملائه الذين يضطرون للذهاب مبكراً، ولا يجدون وقتاً لتناول إفطارهم حتى يتسنى لهم اللعب قبل أن يأتي «صفوان» ويطردهم من الملعب.

.. ولكن ما أن عرض «حامد» الفكرة، حتى اعترض أحدهم صائحاً في رعب:

- لا . لا تطلب منا ذلك يا «حامد». فأنت تعرف «صفوان»!

إلا أن «مراد» اندفع يخاطب الأولاد قائلاً:

- تأكدوا يا إخواني أن الذي يجعل «صفوان» يسلك هذا السلوك العدائي معكم هو ثقته بأنه يستطيع أن يضرب كل منكم على حدة .. أما لو خطر بباله أننا سنقف جميعاً ضده لأنه ظالم، فتأكدوا أنه سيخاف منا كمجموعة، كما يخافه كل فرد منا على حدة.

ولم يلبث أن اقتنع الأولاد جميعاً بالفكرة، وتعاهدوا على الاتحاد لمقاومة «صفوان الجبار»، عندما يأمرهم كعادته بالخروج من أرض الملعب.

ولم يمض إلا وقت وجيز، حتى كان الأولاد جميعاً على أرض الملعب يمارسون لعبتهم، واستمروا في اللعب وهم جميعاً في حالة ترقب لظهور «صفوان الجبار» .. حتى ظهر «صفوان» أخيراً بقامته الفارعة وجسده الضخم.

فما أن شاهده الأولاد حتى توقفوا، وكادوا ينسون ما تعاهدوا عليه مع «مراد» ، وأوشكوا على الفرار من أرض الملعب.

نظر «صفوان» إليهم في دهشة، فقد اعتادوا أن يتركوا الملعب ويلوذوا بالفرار بمجرد رؤيته.

وصاح فيهم متوعداً بصوته الجهوري:

- هيا. ألا ترونني. اتركوا الملعب.

ولكن. ولدهشته فوجئ بمن يقول له بصوت عال:

- بل سنستمر في اللعب، وأنت الذي ستترك الملعب!

فالتفت «صفوان» إلى صاحب الصوت وهو لا يصدق أذنيه، فقد كان صاحب الصوت هو «مراد»!

فثارت ثائرة «صفوان»، واندفع بجسده الضخم نحو «مراد»،

وهو يصيح فيه متوعداً:

- أنت. أنت مرة أخرى! هذه المرة لن أكتفي بضربك، بل سأمزقك أربا!

ولكن. فوجئ «صفوان» بالأولاد جميعاً يصيحون في صوت واحد:

- لا. بل سنضربك جميعاً.

فنظر «صفوان» حوله في ذهول، وهو يشاهد الأولاد جميعاً يحيطون بمراد، ويستعدون جميعاً للهجوم عليه!

كانت دهشة الأولاد جميعاً عظيمة عندما شاهدوا «صفوان الجبار»، يجيل النظر بينهم جميعاً وهو في حالة ذهول ورعب شديدين، ثم يفر من أمامهم تاركاً أرض الملعب. فراحوا يتابعون بأعينهم، وهو يفر من أمامهم كما يفر كل فرد منه!!

فالتفت الجميع نحو «مراد»، ونظروا إليه بإعجاب شديد، وأسرع كل منهم وراح يعانقه ويشكره على فكرته التي ألهبت حماسهم وأعادت إليهم حقوقهم، وصاحوا مهللين في فرح عظيم:

- اليوم. اليوم لا خوف من الظالم!

واختفى «صفوان» بعد ذلك تماماً، وصار الأولاد يلعبون على أرض ملعبهم بلا خوف من الظلم.

ولكن .. وبالرغم من أن «مراد» صار يلعب الكرة في كل يوم مع الأولاد جميعاً بلا خوف من تدخل «صفوان» أو غيره .. إلا أن شيئاً كان يؤرقه دائماً، فما أن ينتهي من لعب الكرة مع الأولاد ويعود إلى منزله، حتى يروح تفكيره كله في موضوع «عجمان» .. هذا الرجل الذي يسرق مجهود الصيادين جميعاً ويجعلهم فقراء.

.. حتى جاء يوم، قفز إلى رأسه سؤالاً .. ماذا لو يتحد الناس جميعاً ضده، كما اتحد الأولاد ضد «صفوان» .. إلا أن الأمر كان مختلفاً .. فرجال «عجمان» كثيرون، ويمتلكون الأسلحة الفتاكة والتي تمكنهم من القضاء على رجال القرية كلهم.

وفجأة .. خطرت له فكرة أهتز لها طرباً .. إن الصيادين يستطيعون أن يقاوموا «عجمان»، فلا يبيعون له شيء مما يصطادونه، بل يمكن أن يأكلون، ما يصطادونه لمدة طويلة، ولكن لا يستطيع «عجمان» أن يتوقف عن البيع، فمن أين يأتي بالمال ليصرفه على رجاله. من مرتبات ومن تكاليف لصيانة مراكبه .. فهنا، سيضطر إلى الشراء بالثمن الذي يحددونه هم!!



فأسرع «مراد» إلى منزل كل صياد من الصيادين الذين تعرف عليهم فترة تواجده بالقرية، وجعل يشرح لهم فكرته .. فتردد كل منهم في بادئ الأمر، إلا أنهم وبعدما فكروا في الأمر لمدة، اقتنعوا أخيراً بالفكرة، وراح كل منهم يقنع زملاؤه الآخرين بها .. حتى صادفت لدي صيادي القرية جميعاً قبولاً وارتياحاً، فتعاهدوا على تنفيذها جميعاً في وقت واحد ... فلم يمر إلا أسبوعاً واحداً، إذا بعجمان يفاجأ بالناس تشترط عليه سعراً محدداً وهو السعر المتعارف عليه في أسواق القرى الأخرى .. فإذا لم يشتري السمك منهم بهذا السعر، فلن يبيعون له ما يصطادون من سمك!!

فلم يصدق «عجمان» ما حدث، وثار عليهم ثورة كبرى، وجعل يهددهم ويتوعدهم بأنه لن يشتري منهم شيئاً من السمك، ويلفت نظرهم بأنه يعرف جيداً أنه لا يستطيع أي صياد منهم أن يبيع ما يصطاده من سمك إلى خارج القرية .. فمن أين لهم بالمراكب الضخمة المجهزة بكل الطرق لحفظ السمك.

وجعل هو ورجاله يطلقون العبارات الساخرة ويندون بحال هؤلاء الصيادين عندما يضطر كل منهم للسفر لمدة طويل إلى القرى الأخرى ليبيع سمكاً لا يصلح من طول مدة وجوده في الحر الشديد .. ويهددهم بأنهم لو عرضوا عليه شراء السمك بعد ذلك، فسيشتريه بسعر أقل من السعر

الذي يشتري به الآن!! ... ولكن فوجئ «عجمان» بالصيادين جميعاً يرفضون تهديده، فلم يبع له أحد شيئاً، وراح كل منهم يأكل -هو وأسرته- ما يصطادونه .. واستمروا على ذلك لأشهر طويلة .. حتى أوشك «عجمان» على الإفلاس، وألفى نفسه لا يستطيع أن يسدد إلى رجاله أجورهم ولا يجد الأموال للصرف على صيانة مراكبه، حتى كاد افلصدى يزحف إلى أجزائها .. فاضطر أخيراً للرضوخ لمطالب الصيادين.

.. فصار الصيادون لا يبيعون أسماكهم لعجمان أو غيره من الذين يحتكرون سوق الشراء، إلا بالسعر السائد في الأسواق، فارتفع دخلهم وتحسنت معيشتهم.

ولم تمر عدة أشهر أخرى، حتى فوجئ «برهان» جزار القرية الوحيد بالناس تهدده إما أن يبيع لهم اللحوم الجيدة وبالسعر الذي تستحقه، وإلا لن يشتروا منه، فاعتقد «برهان» أن ذلك مجرد وعيد منهم، ولكنه فوجئ بالناس تنفذ وعيدها بالمقاطعة، فلقد تدربوا على إتخاذ القرار الجماعي - فكادت اللحوم لديه أن تفسد، فاضطر للامتثال للأمر الواقع .. فجعل يبيع اللحوم الجيدة بالسعر المعقول .

.. وكان ذلك من تدبير الفتى الصغير «مراد».

ورغم ذلك لم يهدأ «مراد» حتى استطاع أن يقنع الناس جميعاً بالقرية بمقاطعة سائقي عربات الكارو، إذا تركوا عرباتهم وسط الطريق لتدخين النارجيلة غير عابئين بوقت وشعور الركاب .. فما أن فوجئ السائقون بمقاطعة الركاب لكل سائق عربة يتركها ليحتسي النارجيلة وسط الطريق، حتى شعروا بأنهم صاروا في خطر، فاضطروا أن يكفوا عن الوقوف بعرباتهم وسط الطريق.

.. فبدأ الشر ينقشع شيئاً فشيئاً عن القرية كلها خوفاً من قوة الرأي العام، وقدرة أهل القرية على تنفيذ إرادتهم.

ومرت سنوات طويلة .. تغير حال قرية الصيادين، فبعدما كان أهالي القرى والمدن الأخرى يطلقون عليها قرية الأشرار، صارت هي المكان المفضل لزياراتهم، لما تمتاز به من هدوء وأمن .. وسيادة الحق بين أهلها .. ولا يحكمها سوى .. قوة الرأي العام !!

❖❖❖

تمت